11me Année No. 508

Lundi - 29 - 3 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ ص في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٨ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٢٤١	دفاع عن البلاغة	أحمد حسن الزيات ... ...
٢٤٣	علوم اللغة في المدارس الثانوية	الدكتور زكي مبارك ... ...
٢٤٦	من الأستاذ محمد كامل سليم بك إلى الأستاذ توفيق الحكيم	
٢٤٧	قضية اليوم	الأستاذ دريني خشبة ..
٢٥٠	ثورة في الأخلاق	الأستاذ محمد يوسف موسى
٢٥٢	طيبة تستقبل فرعون مصر	الكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه بقلم الأستاذ أحمد أحمد بدوي
٢٥٥	روسيا والحرب الخاطفة	اليوزباشي حسين ذو الفقار صبري
٢٥٨	قطرة في بحر [قصيدة]	الدكتور عزيز عبد السلام فهمي
٢٥٨	من أزهار النثر	الشاعر « شارل بودلير » بقلم الأستاذ عثمان علي عسل ...
٢٥٩	الشيخ عبد العزيز البشري	... .
٢٥٩	ذو القرنين ليس الاسكندر الأكبر	الدكتور إبراهيم الدسوقي ...
٢٦٠	حول تراث اليهود ...	الأديب كامل السوافيري ...
٢٦٠	إلى الأستاذ محمود تيمور	الأديب أحمد الشرباصي ...

٨ ـ دفاع عن البلاغة

٢ — الـــذوق

كان الذوق في العصور الذهبية يتكوّن في الأديب — كما ذكرنا من قبل — بالدراسة الفقهية لعلوم الأدب ، والقراءة النقدية لروائع الفن ، والصحبة المتصلة لأمراء البيان ، وغشيان مجالسهم ، وطول الاستماع إليهم ، وأخذ النفس بمحاكاتهم ، وامتحان الآراء والأذواق بمحاكمهم ، بعد أن يجمع الأديب وعاء قلبه على خير ما أثر عن العباقرة الذاهبين من بليغ النظم والنثر في الأحوال المختلفة والأغراض المتنوعة . فلما خلت تلك العصور ، وذهب في سبيلها أحبار البلاغة ، وجاء هذا العصر الآلي العجول ، نشأ عن انتشار الثقافة السطحية فيه نوع من المساواة الظاهرية بين الأذهان في التحصيل والتفكير ، فأخذ كل أديب يقرر ولا يستشير ، ويجيب ولا يسأل ، ويكتب ولا يقرأ . ولماذا يقرأ ؟ إن الكتاب المعاصرين لا يكادون في رأيه يتميزون عليه ، وإن الأدباء المتقدمين لا يمتون إلى حياته بسبب ؛ والأبهاء والأندية لا تسمر بأدب الجاحظ ولا بحكمة المتنبي ولا بفلسفة أبي العلاء ؛ وأكثر أولياء الناس لغتهم أجنبية وثقافتهم أوربية فلا يعرفون قيمة الأدب العالي ، ولا يرفعون مكانة الأديب الحق

إنما يقرأ متأدبو اليوم صحف الأخبار ومجلات الفكاهة

وأقاصيص الهو وملخصات العلم . وأكثر ما يقرأون صور منقولة أو مقبوسة عن أدب الغرب لا تربى فى القارئ إلا ذوقاً مذبذباً لا يثبت على لون ولا يستقيم على خطة . ومثل هذا الذوق الملفق المستعار لا ينظر إلى (الأمالى) و (الأغانى) و (اللزوميات) إلا كما ينظر إلى العمامة والقباء والجبة ؛ فهى فى حكمه أشياء قضت عليها (المودة) ؛ وللمودة فى كل يوم زى يتجدد معه الذوق ويتمدد !

وليس معنى ذلك أن الذوق الأدبى العربى فسد فى كل نفس ؛ إنما نتحدث عن الكثرة ؛ والكثرة فى عهد الديمقراطية تتحكم فى القلة : تحدد لها المستوى ، وتعين لها الاتجاه ، وتنصب أمامها الغرض ؛ بسُنة العدوى ، فإنها إلى الأصحاء مؤكدة سريعة

على أن فى كتاب العربية المعاصرين صفوة مختارة لا تزال فى وسط هذه الأذواق المتنوعة المتناقضة مخلصة للذوق الطبيعى الخالص ، تذود عنه ، وتدعو إليه ، وتأبى أن تنزل به إلى تمليق الدهماء ولو فقدت فى سبيله انتشار الصوت ورواج القلم . وأغلب هذه الصفوة من أبناء الأزهر ودار العلوم ومن تلمذ لهم ، لأن الذوق الأدبى عندهم هدى من الوحى الإلهى أنزله الله فى القرآن ، وأرسله فى الأدب ؛ فجرى فى النفوس المؤمنة مجرى العقيدة لا يحسن فى مكان دون مكان ، ولا يصلح لزمن دون زمن

ولكن أصحاب الذوق السقيم يرمون أصحاب الذوق السليم بالقدم والتقليد ؛ كأنهم يجهلون أن الجدة والأصالة إنما تكونان فى العبقرية لا فى الذوق : تكونان فى الفكرة والعاطفة والصورة ، وفى ابتكار السمات للطبع ، والحركات للنفس ، والنزعات للهوى ؛ وفى استنباط الوسائل للاقناع والإمتاع والتأثير والتشويق والإفادة ؛ وفى ابتداع الكلمة الصادقة الشاعرة والجملة البارعة النادرة والأسلوب الحى الذى يلائم الموضوع ويوائم الطبيعة . بذلك استطاع الجاحظ أن يكون غير ابن المقفع ، وابن العميد غير الجاحظ ، والبديع غير ابن العميد ، وأبو نواس غير مسلم ابن الوليد ، وأبو تمام غير أبى نواس ، والمتنبى غير أبى تمام ، وأبو العلاء غير هؤلاء جميعاً ؛ ولكن الذوق الذى جمع فنهم وفرق بينهم ظل واحداً لا يكاد يختلف

* * *

كان المخلصون للأدب فى عهد انتشاره وازدهاره يجعلون من ثمار القرائح موضوعاً للنقد الدقيق الصادق ، فيؤلفون الكتب فى الموازنات ، ويعقدون المجالس للمناظرات ، ويضعون الموازين القسط للكتاب والشعراء ، فلا ينبه شاعر لجاهه ، ولا يتبغ كاتب لمنصبه . أما النقد اليوم فأكثره زور وعبث . هو فى أغلب الأمر رأى يصدر عن مجاملة أو جهالة ، ثم ينتقل من فم إلى فم ، ومن مجلس إلى مجلس ، ومن بلد إلى بلد ؛ والناس فى عصر السرعة الآلية والثقافة الضحلة يأخذون الرأى من غير تمحيص ، ويعطونه بدون اكتراث . فهذا الكاتب فى رأيهم زعيم الكتاب لأنهم يقرأون اسمه فى كل صحيفة ، ويسمعون ذكره فى كل مناسبة ! وهذا الكتاب فى زعمهم زعيم الكتب لأنه قرر فى المدارس أو انتشر فى الأيدى أو تحدث به الناس ! أما أن ينقدوا الكاتب أو يقرأوا الكتاب فذلك شىء لا يقع فى الهوى ولا يدخل فى الاختصاص . ومن هنا كان الرأى العام الأدبى فى مصر قائماً على التقليد والمتابعة ؛ ومن التقليد والمتابعة لا يولد ذوق خاص ، ولا يوجد رأى مستقل

إن مستقبل البلاغة منوط بتغلب الذوق الطبيعى المأثور على الذوق المزيف المستحدث . وإذا قلت إن سلامة القومية المصرية موقوفة كذلك على هذا التغلب لم تبعد الحق ؛ لأن الأذواق والأخلاق والعادات هى عناصر الشخصية التى تميز فرداً من فرد وأمة من أمة . وسبيل الغلبة والفلج للذوق الحر تربيته وتقويته . وأقرب الوسائل إلى ذلك التعليم الصحيح والمثل العالى . فإذا عنى القائمون على الثقافة بتعليم اللغة على النحو الذى تعلم به اللغات الأوربية فى الغرب ، وعرضوا على النشء النماذج العليا من الأدب قديمه وحديثه ، ورغبوه فى قراءتها بالعرض المشوق والطبع الأنيق والمكافأة الحسنة ، رجونا أن تنشأ الأذواق على الصحة وتجرى على الطبع ، فتعاف الأدب الرخيص ، وتستبشع الأسلوب الغث ، وتنكر النقد المزيف . وإذن تنشق رياض الأدب من الحشرات والطفيليات فلا تسمع فيها لغواً ولا تأثيماً ولا شعوذة

إن معلمى اللغة فى كل أمة هم وحدهم المسئولون عن تكوين الذوق السليم والخلق القويم فى الناشئ . وإن ما نجده فى مصر من فوضى الأخلاق والأذواق لدليل على أن فى بعض معلمى العربية ضعفاً فى الاستعداد أو نقصاً فى الإعداد نضرع إلى القائمين على شؤون التعليم أن يعملوا مخلصين لعلاجه . وما نظن (الدراسة العليا) التى فرضت على بعضهم فى هذا العام هى وحدها الدواء الناجع فى هذا العلاج .

« الكلام بقية »

احمد حسن الزيات